

تحقيق الذات نهاية سلم للحاجات أم بداية للتعاون؟

الأستاذ: تلي عبد الرحمان.

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطفونيا.

جامعة سعد دحلب البليدة.

.مخلص:

إذا كان من المربين والنفسانيين (ماسلو ، بورتر ليفين، ماك ليلاند وأتكينسون والدرفر) يضعون تحقيق الذات في قمة سلم الحاجات، أم أنها بداية لتحقيق حاجات أخرى أشمل وأؤكد لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي كالحاجة للتعاون؟. وقد تطرق المقال إلى الدوافع والحاجات لماسلو وبذلك تصبح قمة سلم الحاجات هي الحاجة إلى التعاون بدلا من الحاجة إلى تحقق الذات بحيث تصبح هذه الأخيرة كشرط للتعاون .
الكلمات المفتاحية: الحاجات والدوافع ، تحقيق الذات ، التعاون.

مقدمة:

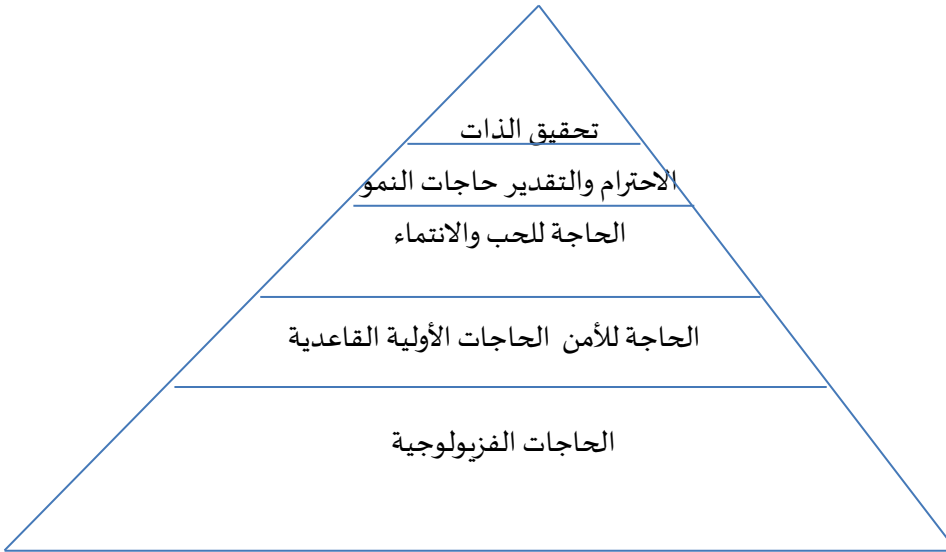
تعتبر الحاجة إلى تحقيق الذات عند المربين وعلماء النفس حاجة أساسية لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي للفرد حيث نجد أن إبراهيم ماسلو وبورتر وليفين وألدرفر وماك ليلاند يؤكدون على أهمية هذه الحاجة ويضعونها في أعلى هرم الحاجات ، فهل هذه الحاجة هي نهاية السلم أم أنها بداية ومنطلق لتحقيق حاجات أخرى ضرورية لتحقيق التوازن لدى الفرد كالحاجة للتعاون ؟وعليه يهدف المقال إلى الإجابة عن هذا السؤال .

1- الدوافع والحاجات والتوافق النفسي:

يستعمل العديد من علماء النفس الدوافع والحاجات كمفهومين مترادفين يتعلقان بالمستوى الداخلي للذات ، كما يستعملون الحوافز غالبا بأنها تدخل خارجي لإثراء السلوك وتوجيهه نحو تحقيق هدف ما (كفاي .ع، ب.ت)، ويعتبر توافق الإنسان ككل متكامل مع البيئة التي يعيش فيها مطلبا أساسيا، حيث يرتبط سواء الإنسان بقدر

ماينجح في تحقيق هذا المطلب، كما تتضرر صحته النفسية بقدر ما يفشل في ذلك إلى أن يصل إلى درجة الاضطراب النفسي الجديد.

تبدأ عملية التوافق بالحاجات والدوافع التي تصنف إلى حاجات أولوية بيولوجية الطابع وحاجات ثانوية مكتسبة اجتماعية ونفسية الطابع وإشباع الدوافع الأولية أو توفير الحد الأدنى من إشباعها يفتح الطريق لإشباع الدوافع الثانوية وليس العكس ،علما أن الدوافع الأولية لها حد أدنى من الإشباع دونه يفقد الإنسان حياته بعكس الدوافع الثانوية في سلوكه ؛ من أهمها نظرية ماسلو للحاجات (Maslow 1970) حيث تقوم هذه النظرية على افتراضات نظرية يرى فيها أن الإنسان كائن مميز يسعى تدريجيا لتحقيق أهداف أسماها تحقيق الذات (Self realization) ورتب ماسلو حاجات الإنسان في شكل هرم كما هو مبين فيشكل(1):



الشكل 1: سلم ماسلو للحاجات (Maslow ,1970)

وافقه في ذلك بورتير (porter) حيث لا تختلف نظريته عما جاء به ماسلو إلا اختلافا شكليا حيث أعاد النظرية في ترتيب أولوية الحاجات إذ استبدل الحاجات الفيزيولوجية التي ذكرها ماسلو بالحاجة إلى الأمن كحاجة أساسيا في أسفل الهرم وأضاف الحاجة للاستقلال في مرحلة مستقلة بها حيث أصبح سلم الحاجات كما هو موضح في الشكل (2):



الشكل 2 سلم الحاجات لبورتر (porter)

وكذا نظرية الوجود والانتماء والنمو للدرفر (Alderfer) حيث لا تضيف هذه النظرية الكثيرة من الأفكار مما ورد عند ماسلو وبورتر ، إذا قلص مجموعة الحاجات إلى ثلاث حاجات تتمثل في الحاجة للوجود والتي تعتبر عن الحاجات الفيزيولوجية في نظرية ماسلو وعن حاجات الأمن بالنسبة لبورتر وكذلك فالحاجة للعضوية في جماعة والحاجة للنمو هي الحاجة لتحقيق الذات في لغة ماسلو وبورتر ، وكذا نظرية الحاجة للإنجاز التي ترتبط بكل من ماك ليلاند واتكنسون (MC . CLILLAND&ATKINSON) حيث تفترض هذه النظرية أن عوامل الدافعية هي عوامل ذاتية داخلية تتصل بالقوى والرغبات الداخلية لدى الفرد والمتمثلة في رغبته في التميز والإبداع ، وأما نظرية مستوى الطموح عند ليفين (levin) تؤكد على أن هدف الفرد أو طموحه قد يشكل الدافع الرئيسي للقيام بالعمل ، فمستوى هو مستوى الإنجاز المرتقب الذي يتوقع العامل أن يصل إليه في مهمة عادية مع معرفته بمستوى إنجازه السابق ، فالفرق بين مستوى الإنجاز السابق ومستوى الطموح يسمى فرق الهدف ، والفرق بين مستوى الطموح ومستوى الإنجاز الجديد هو فرق الإنجاز ، ما نجح الفرد في تحقيق فرق إيجابي في الإنجاز فإن ذلك يولد لديه شعورا بالنجاح مما يدفع إلى المزيد من العمل (لعويسات ج، 2002).

الواضح من هذه النظريات أنها تتجه إلى تصنيف الحاجات إلى تحقيق الذات في قمة سلم الحاجات لتحقيق الطموح الشخصي مع اختلاف التسميات ، وفيما يلي سنلقى لمحة عن تحقيق الذات.

2-تحقيق الذات:

يشعر الفرد بتحقيق ذاته من خلال ما ينجزه وفيما يحققه من أهداف أو فيما يسعى إليه من أسلوب حياة أفضل أو مستويات أعظم لوجوده الإنساني الواعي ، وعليه اعتبرت الحاجة إلى تحقيق الذات القمة في سلم الحاجات ؛ إذ تستدعي هذه الحاجة مضاعفة إنتاج الفرد لبلوغ أقصى ما يستطيعه من الأفكار والقائد يحتاج للتحقيق أروع الانتصارات ويكسب المعارك والسياسي يحتاج أن ينجز أعظم الأعمال والمتعلم والرياضي... الخ ، وعليه فتحقيق الذات هي "الرغبة في أن يصبح المرء ما في قدرته أن يكون" (لعويسات ج، 2002) ، ويرى بن بريكة (1995) أن دافع الانجاز بأنه "مكون جوهري في سعي الفرد تجاه تحقيق الذات" (بن بريكة ع، 1995).

بالرغم من أهمية تحقيق الذات كحاجة في حياة الفرد فهي لا تتعدى الطموح الشخصي كما نصت عليها النظريات السابقة بحكم البيئة التي نشأت فيها وهي البيئة الغربية والتي تؤكد على استقلالية الفرد وتنشئته على ذلك منذ طفولته الأولى كما هو الحال عند إريك إريكسون في مراحل النمو الاجتماعي (عشوي .م، 2010) في حين نجد في الثقافة العربية الإسلامية إن التأكيد على الاستقلالية للفرد ولكن في الإطار الاجتماعي الأسري، وينصف ستيفن آر كوفي (StivenRcovey2009) تحقيق الذات في الأخلاق الشخصية أو عادات الانتصار الشخصي ، وقد رتب تلي(2011) مجموعة من المواصفات التي تميز الأفراد المحققين لذاتهم أثناء بناءه لمقياس س تحقيق الذات لإعداد أطروحة الدكتوراه تتوافق وعادات الانتصار الشخصي عند كوفي والمتمثلة في المواصفات التالية:

- 1- الإدراك السلم للواقع.
- 2- الاهتمام المركز بالمشاكل المتواجدة بالمحيط.
- 3- العلاقات الشخصية قوية ووظيفية .
- 4- مبدعون لا يخفون الأخطاء.
- 5- الصراحة مع الآخرين .
- 6- مقاومة الضغوط وعدم الاستسلام بسهولة.
- 7- قبول الذات والآخرين .
- 8- التلقائية.
- 9- الاستقلالية.
- 10- متابعة المشاريع إلى النهاية.
- 11- الميل الاجتماعي.
- 12- قبول الحوار والانفتاح على الآخرين.

الجدول : مواصفات الأفراد المحققين لذاتهم (تلي.ع، 2011)

يصنف ستيفن آر كوفي (Covey, 2009) القسم الثاني من مواصفات الأفراد الذين تمكنوا من تحقيق ذواتهم وسمائها بمواصفات الانتصار العام والتي تمكن الأفراد المتصفين بها من التعاون مع الآخرين فضلا عن تحقيق الذات ، ولخصها في العادات الثلاث التالية :

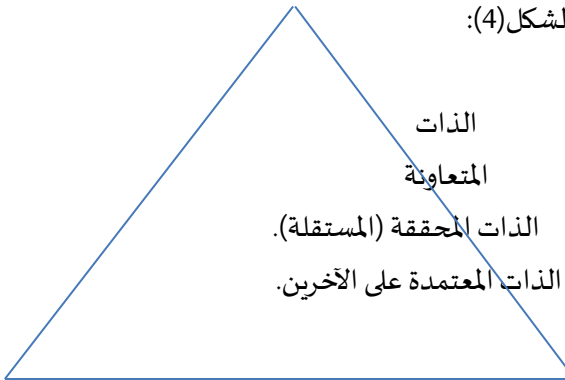
1- التفكير في كسب /كسب أثناء التعامل مع الآخرين .

2- التكاثف الذي يزيد من قوة المجموعة .

3- السعي إلى فهم أنفسهم ثم السعي إلى أن يفهمهم الآخرين.

يؤكد كوفي على أن الفرد لا يكون مؤهلا لأن يتعاون مع غيره إلا إذا كان محققا لذاته ، وعليه تصبح الحاجة إلى تحقيق الذات أرضية لازمة تؤهل الفرد للتعاون الآخرين ، فالذات المعتمدة على الآخرين ، فالذات المعتمدة على الآخرين لا يمكنها أن تحقق التعاون بالتبادل مع الآخرين إلا إذا حققت ذاتها (راجع مواصفات الأفراد المحققين لذواتهم) ويمكن تمثيل المستويات

الثلاث للذات كما في الشكل(4):



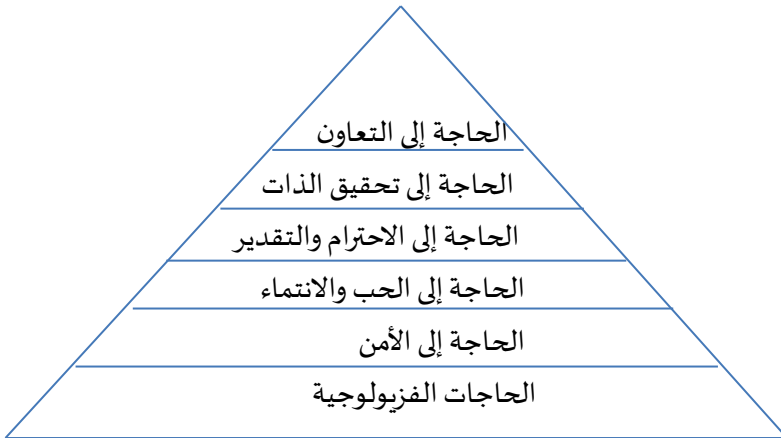
الشكل (4) مستويات الذات كما يراها الباحث اقتباسا عن (كوفي .س، 2009)

وتؤكد الفرق الفردية أن هذه المستويات موجودة في الواقع لا يمكن إنكارها وليست أخطاء يجب التخلص منها كما كان الاعتقاد سابقا ، لكن مع تراكم الأبحاث والدراسات تم الوصول إلى حقيقة مؤداها أن الفروق الفردية حقيقة لا يجب إنكارها، وإنما يجب فهمها تمهيدا لتوجيه الأفراد إلى نوع الدراسة أو العمل (أو حتى الزواج) أو (الميل أو الاستعدادات) ... الخ ، والتي تتفق مع الفرد وإمكاناته ، وبذلك تضع الفرد المناسب (من حيث الإمكانات والقدرات) في المكان المناسب (والذي تتفق متطلباته مع قدرات الفرد) (غانم . م ، 2003، ص5).

فالإنسان اجتماعي بطبعه محتاج لغيره ويحتاج إليه ، فهو يحتاج للتعاون مع غيره ، والتعاون بهذا يعكس شراكة حقيقية ولا تتحقق هذه الشراكة إلا إذا كان طرفا التعاون جهدا يعكس شراكة حقيقية ولا تتحقق هذه الشراكة إلا إذا كان طرفا التعاون محققين لذواتهم، أما إذا كان أحد طرفي التعاون يمثل ذاتا معتمدة على الآخرين فإن التعاون لن ينجح ؛ لأن الذات الاتكالية غير مؤهلة للتعاون مع غيرها ، ولعل فشل الكثير من صور التعاون في حياة الأفراد والمجموعات مرده لعدم احترام هذا التسلسل في الانتقال من المستوى الأدنى (الذات المعتمدة على الآخرين) إلى الذات المحققة ثم الذات المتعانة ، يقول كوفي "ليس بإمكاننا أن نحقق نجاحا مع الآخرين ما لم ندفع ثمن النجاح مع أنفسنا" (كوفي،س،2009).

على أساس هذا التصور من التعاون الايجابي عدت إستراتيجية التعلم التعاوني من أهم استراتيجيات التعلم الحديث (زيتون.ح،2003) و(غريب.ع،2008) وفي مجال التعاون الدولي اتجهت دول أربا إلى الاتحاد الأوروبي والسوق الأوروبية المشتركة وإتحاد الإمارات العربية وتقارب دول أمريكا اللاتينية ، أنظر (Hillard .p,2009) و (Deguibert.f.x,2007) و(مسقاوي .ع. 2008) .

وعليه نقترح إضافة الحاجة إلى التعاون كحاجة في القمة هرم الحاجات بدلا من الحاجة إلى تحقيق الذات كقمة لهرم سلم الحاجات ، كما هو مبين في الشكل 4:



الشكل 4: سلم الحاجات المقترح من طرف الباحث

المراجع:

- 1-جمال الدين لعويصات ، السلوك التنظيمي والتطور الإدارة ، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر، 2002.
- 2-حسن حسين زيتون ، استراتيجيات التدريس ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2003
- 3-محمد حسن غانم، مدخل إلى علم النفس الفارق، المكتبة المصرية، الإسكندرية، 2009
- 4-مصطفى عشوي ، مدخل إلى علم النفس المعاصر، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2010
- 5-ستيفن آر كوفي، العادات السبع للناس أكثر فعالية ، الترجمة العربية ، مكتبة المملكة العربية السعودية، 2009
- 6-مجلة الإصلاح التربوي ، باتنة (الجزائر) ، عبد الحق بن بريكة، 1995
- 7-علاء الدين كفا في الإرشاد الأسري، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، بدون تاريخ
- 8-عمر مسقاوي ، مقاربات حول فكرمالك بن نبي ، دار الفكر دمشق ، 2008
- 9-عبد الكريم غريب ، التصاؤل والتنشيط ، ط1 منشورات عالم التربية ن القاهرة _200
- 10-عبد الرحمان تلي ، تحقيق الذات من خلال منهاج علوم الطبيعية والحياة في ضوء المقاربة بالكفاءات حسب آراء الأساتذة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة 2، بوزريعة ، 2011
- 11-Pierre Hillard ; **les sept péchés capitaux de Chavez** ; Ed Ilvestig action couleur livres ; 2009.
- 12- Franc Xavier De Guibert ; **La marche irrésistible du nouvel ordre mondial** ; Paris ; 2007.